

## أثر النبي ﷺ في بناء شخصية الآل والأصحاب

إبراهيم النعمة

قدوة المسلم العليا في كل مكرمة من المكرمات الباهرات، هو رسول الله ﷺ وأول من اقتدى به فأحسن الاقتداء بصفاته العليا هم صحابته الكرام ﷺ. فقد عاشوا معه، ورأوا من أحواله العامة والخاصة ما لم يره غيرهم: رأوا أقواله التي صدقتها الأفعال، ورأوا حقيقة الزهد في حياته كيف يكون، فاقتدوا به خير اقتداء، فكان الواحد منهم أسعد ما يكون حين يقتدي بكل فعل من أفعاله، وينفذ كل قول من أقواله. وسأكتفي هنا بذكر نماذج من أقواله وأفعاله في الزهد<sup>(١)</sup> ثم اتبعها باقتداء الصحابة به في ذلك.

ننظر في سيرة النبي ﷺ، فنرى تأثيره الكبير بكل آية من آيات القرآن وبخاصة الآيات الداعية إلى الزهد بزهرة الحياة الدنيا - ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ سورة النساء/٧٧.

وقوله:

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ﴾ سورة آل عمران/١٨٥.

وقوله:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة القصص/٨٣.

وقوله:

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ سورة الحديد/٢٣.

قرأ النبي ﷺ هذه الآيات وغيرها، فطبقتها على نفسه خير تطبيق أولاً، ثم دعا صحابته إلى الزهد في الحياة الدنيا في أحاديثه الكثيرة، ومنها قوله ﷺ لعبد الله بن عمر:

---

(١) تدل مادة (زهد) على القلة في كل شيء، قال تعالى في قصة نبي الله يوسف ﷺ ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ سورة يوسف/٢٠.

وتقول: زهد في الأمر الفلاني: أي أعرض عنه وتركه، وزهد في الدنيا أي ترك حلالها مخافة الحساب أو طلباً للثواب.

والزهد في الإصطلاح: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة. وقيل هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك (ينظر: التعريفات للجرجاني).

وحقيقته: انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه كما يقول الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين).

(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)<sup>(١)</sup>.

وقوله:

« والله ما الدُّنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه وأشار يحيى بالسبابة في اليمِّ فلينظر بيم يرجع »<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

« يقول ابن آدم مالي مالي قال وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت »<sup>(٣)</sup>.

وقوله:

« من أصبح آمنا في سربه معافى في جسده عنده طعام يومه فكأنما حيزت له الدنيا »<sup>(٤)</sup>.

وقوله:

« ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك »<sup>(٥)</sup>.

وقوله:

« والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه هذه في اليم فلينظر بيم ترجع »<sup>(٦)</sup>.

وقوله:

« مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها »<sup>(٧)</sup>.

ولننظر كيف كان الزهد العملي للنبي ﷺ:

عن عروة عن عائشة رضي الله عنهما أنها كانت تقول:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب: قول النبي ﷺ كن في الدنيا كأنك غريب) حديث ٦٤١٦، صحيح البخاري ص ١٥٨٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها (باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة) حديث ٢٨٥٨، صحيح مسلم ٢١٧٣/٤.

(٣) رواه مسلم في كتاب الزهد والرفائق، حديث ٢٩٥٨، صحيح مسلم ٢٢٧٣/٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد (باب: من أصبح آمنا في سربه)، حديث ٣٠٠، الأدب المفرد، ص ٩٨، خرَج أحاديثه/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد (باب: الزهد في الدنيا)، حديث ٤١٠٢، سنن ابن ماجه ١٣٧٤/٢.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٧٩٣٢، المسند ٣٥/١٤.

(٧) رواه الإمام أحمد برقم ٢٧٤٤، المسند ٢٢٢/٣.

(والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار. قال: قلت: يا خالة، فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منايح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه)<sup>(١)</sup>.

وروى ابن عباس ؓ قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير قال فجلست فإذا عليه إزارٌ وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع وقرظ في ناحية في العُرْفَةِ وإذا إهابٌ معلق فابتدرت عيناى فقال: ما يُيكيك يا بن الخطابِ فقلت يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى وذلك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك؟ قال: يا بن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟ قلت: بلى»<sup>(٢)</sup>.

وروى النعمان بن بشير قول عمر بن الخطاب ؓ:

(لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجد دقلاً<sup>(٣)</sup> يملأ به بطنه)<sup>(٤)</sup>.

هذه أمثلة قليلة من مئات الأمثلة، تنص على زهد النبي ﷺ بزينة الحياة الدنيا، فقد كان يعيش يعيش وأزواجه كما يعيش أكثر الناس فقرا في مكة، وليس ذلك لعدم قدرته على الحصول على المال؛ إذ إنه لو أراد ذلك، لجمع من المال ما لم يجمعه أحد غيره في الجزيرة العربية. ألم يساومه مشركو مكة أن يجمعوا له المال ليكون أكثرهم مالا، مقابل أن يتخلى عن دعوته فأبى ذلك؟.

إنه الزهد الذي ضرب به من الأمثلة أروعها. ويكفي أن نعلم أنه صلوات الله وسلامه عليه توفي وما في بيته شيء يؤول إلا شطر شعير في رف للسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. يقول عمرو بن الحارث ؓ:

(ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً إلا بعلته أبيضاءً وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة)<sup>(٥)</sup>.

(١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم تأليف: محمد بن فتح الحميدي ١٣٨/٤، تحقيق: د علي حسين

البواب، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار ابن حزم لبنان/بيروت.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد حديث ٤١٥٣، سنن ابن ماجه ١٣٩٠-١٣٩١، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

(٣) الدقل: التمر الرديء

(٤) رواه مسلم في كتاب الزهد والرفائق، حديث ٢٩٧٨، صحيح مسلم ٢٢٨٥/٤.

(٥) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب: مرض النبي ووفاته) حديث ٤٤٦١، صحيح البخاري ص ١١٠٥.

إنّ هذا المنهج في الزهد كان له أثره البالغ في صحابته الكرام، فقد اقتدوا به في كل جانب من جوانب حياته -ومنها جانب الزهد- فكانت الآخرة نصب أعينهم، بعد أن آمنوا إيماناً عميقاً أنّ الدنيا إنّ هي إلا دار فناء، وأنها لم تكن سوى سلّم لدار الخلود. ولننظر إلى زهد صحابة النبي ﷺ، أولئك الذين علّموا الدنيا كيف يكون الزهد، ونبداً بالخلفاء الراشدين:

### زهد أبي بكر الصديق ﷺ

فهذا خليفة رسول الله أبو بكر الصديق كان من التجار الكبار، وكان له أربعون ألف دينار ذهباً- وفي لفظ أربعون ألف درهم- فأنفقها على رسول الله ﷺ ولم يبق عنده منها يوم مات النبي ﷺ إلا القليل، فلما صار خليفة للمسلمين ألقى بما كان معه من المال في بيت مال المسلمين، ومات ﷺ ولم يخلف ديناراً ولا درهماً. ولننظر وصيته قبل أن ينتقل إلى جوار ربه، لنجد الزهد كيف يكون: فقد أوصى بأن يكفن بثوبين قديمين وقال: (أنظروا ثوبيّ هذين فاغسلوهما، وكفوني فيهما؛ فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت)<sup>(١)</sup>.

وأوصى ابنته أم المؤمنين عائشة بقوله:

(إنا ولينا أمر المسلمين، فلم نأخذ لنا ديناراً ولا درهماً، ولكننا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح وجرّد هذه القطيفة، فإذا مت فأبعثي بهن إلى عمر)<sup>(٢)</sup>.

ولم يكتف أبو بكر بهذا، فقد أوصى ابنته عائشة بقوله:

(انظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال فاقضوه عني)<sup>(٣)</sup>.

ذلك لأن الصحابة كانوا قد فرضوا له شيئاً يسيراً من المال ليقنات به مع أهله؛ إذ ترك تجارته، وتفرغ لشؤون الخلافة. وقد قامت أم المؤمنين باعادة ما أخذه في خلافته لبيت المال!.

إنه الزهد في أجمل صورة من صورته، يتحلّى به خليفة رسول الله ﷺ! وهيئات أن تجد الدنيا مثيلاً له أو شبيهاً في تواريخ العالم قديمه وحديثه!.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٦٤ الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد تأليف: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، ٢٠٠/٣ دار صادر بيروت.

(٣) إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله أبو بكر الصديق، تأليف د. حامد محمد الخليفة ٨٥٢/٢، الطبعة الأولى

١٤٢٨-٢٠٠٧، عمان الأردن

## زهد عمر بن الخطاب

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان قد بلغ في الزهد قمته؛ إذ تأثر بزهد النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه القولية والعملية: فكان طعامه الملح والزيت والخل، ولو شاء أن يأكل من أطيب الطعام لكان ذلك في متناول يده، فقد فتحت الدنيا أمامه: ففتح ما يقرب من نصف العالم في خلافته، لكنّه الزهد الذي لا يدانيه زهد.

دخل يوماً على ابنته حفصة أم المؤمنين، فقدمت له مرقا بارداً وخبزاً وصبت في المرق زيتاً، فلم يذق شيئاً من ذلك وقال: أدمان في إناء واحد؟! لا أدوقه حتى ألقى الله<sup>(١)</sup>. وكان رضي الله عنه كثير الصيام (فلما كان زمان الرمادة، إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وغرفوا له طيبها، فأتي به، فإذا قدر (قطعة) من سنام ومن كبد، فقال أنى هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحزها اليوم، قال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كراديسها<sup>(٢)</sup>، إرفع هذه الجفنة، هات لنا غير هذا الطعام. قال: فأتي بخبز وزيت قال: فجعل يثرد ويكسر ذلك الخبز، ثم قال: ويحك يا يرفأ (اسم غلامه): إحمل هذه الجفنة تأتي بها أهل بيت بئس موضع وقف عمر)؛ فأني لم آتهم منذ ثلاثة أيام، وأحسبهم مقفرين؛ فضعها بين أيديهم<sup>(٣)</sup>.

ومن أقواله التي سارت بذكرها الركبان:

(كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم؟!)<sup>(٤)</sup>.

حتى بعد أن فرج الله عن المسلمين زمان الرمادة، وعادت الحياة الطبيعية إلى الناس يأكلون ويشربون وهم في سعة من العيش، ظل أمير المؤمنين زاهداً في متع الحياة الدنيا، فلا يأكل إلا الخشن من الطعام ولا يلبس إلا الخشن من الثياب، وبينما كان الناس يأكلون ويتمتعون (قدمت السوق عكة من سمن، ووطب من لبن، فاشترهما غلام لعمر باربعين درهما) ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، قد أبرّ الله يمينك، وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتهما باربعين، فقال عمر: أغليت بها؛ فتصدق بهما؛ فإني أكره أن أكل اسرافاً<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى ٣/٣١٩.

(٢) الكراديس: رؤوس العظام.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/٣١٢، و ٣/٢٩٠ طبعة الخانجي، والرياض النضرة للمحب الطبري ١/٣٨٥.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٩٨ تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، الطبعة السادسة، دار المعارف.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٩٨.

وقد وصف شاعر النيل حافظ إبراهيم زهده فقال:

إن جاع في شدة قوم شركتهم  
جوع الخليفة - والدنيا بقبضته -  
فمن يباري (أبا حفص) وسيرته  
في الجوع أو تتجلي عنهم غواشيها  
في الزهد منزلة سبحان موليتها  
أو من يحاول (للفاروق) تشبيها<sup>(١)</sup>.

أما عن ملابسه فكان يلبس أدنى مما يلبسه عامة الناس، فقد خطب يوماً وهو خليفة - وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة<sup>(٢)</sup> وطاف ببيت الله الحرام وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة أحدهن بأدم أحمر<sup>(٣)</sup>. وانتظر الناس يوم الجمعة أمير المؤمنين عمر ليخطب بهم إذ ابطأ عليهم، ثم خرج فاعتذر اليهم عن احتباسه وقال: إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يغسل، ولم يكن لي ثوب غيره<sup>(٤)</sup>.

ومن زهده ﷺ أنه ما كان يضرب له فسطاط ولا خباء في سفره (كان يلقي الكساء والنَّطع على الشجرة فيستظل تحته)<sup>(٥)</sup>.

وهذه حفصة ابنة عمر أم المؤمنين قالت: لأبيها يوماً: يا أمير المؤمنين، لو لبست ثوبا هو الين من ثوبك، وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله ﷻ من الرزق، واكثر من الخير قال: اني سأخصمك إلى نفسك (أي سأجعلك حكما على نفسك)، اما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقي من شدة العيش؟ فما زال يذكرها حتى ابكاها فقال لها: ان قلت لك ذاك اني والله لئن استطعت لاشاركنهما بمثل عيشهما الشديد لعلني ادرك معهما عيشهما الرخي<sup>(٦)</sup>.

هذا جانب من جوانب زهد عمر، وهو غني عن أي تعليق كان، ويحق لكل منصف أن يسأل. هل عرفت الدنيا قديمها وحديثها من وصل إلى عشر ما وصل إليه عمر في زهده؟!.

### زهد عثمان بن عفان ﷺ

وهذا عثمان بن عفان ﷺ كان من أكثر المسلمين مالا، وقد ضرب أروع الأمثلة بالزهد في العيش والجاه: فقد كان أميراً للمؤمنين، وتوسعت في عهده الفتوحات الإسلامية، ومع

(١) ديوان حافظ إبراهيم ٩٣/١ بتحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الناشر: محمد أمين دمج، بيروت، ١٩٦٩.

(٢) الزهد للإمام أحمد ص ١٠٩ حديث ٦٥٨، الطبعة الأولى ١٤٢٦-٢٠٠٥ مؤسسة الريان، بيروت.

(٣) الطبقات الكبرى لأبن سعد ٣/٣٢٨.

(٤) الزهد للإمام أحمد بن حنبل حديث ٦٥٥، كتاب الزهد ص ٢٠٨.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٧٩ واسناده صحيح.

(٦) الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص ١٠٩، حديث ٦٦٠.

هذا لم يكن عنده شيء من التباهي بزينة الحياة الدنيا، فكان يلبس الإزار الغليظ، ويقيل في المسجد في ملحفة وليس حوله أحد، فيقوم وقد أثر الحصر في جنبه، ويراه الناس راكبا على بغلة وغلّامه (نائل) خلفه. وقد غضب يوما على عبد له فعرك أذنه، وتذكر عثمان القصاص يوم القيامة؛ فندم على ما كان منه وجاء إلى عبده قائلاً له:

(إني كنت قد عرّكت أذنك فاقتصّ مني!) ويستحيي العبد من كلام أمير المؤمنين عثمان، فيلح عليه أن يفعل قائلاً له: شدّ شدّ، يا حبذا قصاص في الدنيا ولا قصاص في الآخرة<sup>(١)</sup>.

وكان ﷺ يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل بيته فيأكل الزيت والخل وكان يكره التفاخر بالكرم، والتباهي بنوع الطعام أو كثرته، فكان منهجه هذا لونا من ألوان التزهيد بالجاء. فعن حميد بن نعيم: (أن عمر وعثمان رضي الله عنهما دعيا إلى طعام فلما خرجا، قال عثمان لعمر: قد شهدنا طعاما لوددنا أنا لم نشهده، قال: لم؟ قال: إني أخاف أن يكون صنع مباهاة)<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان ﷺ زاهدا بالجاء -أيضا-. فلما تداعى الغوغاء لقتله، طلب الصحابة أن يدافعوا عنه فأبى، وقد قال له المغيرة بن شعبه:

(إن معك عددا وقوة، وأنت على الحق وهم على الباطل. فقال له عثمان: (لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء)<sup>(٣)</sup>.

وطلب منه عبد الله بن الزبير أن يقوم بنصرته فأبى وهكذا الأمر في زيد بن ثابت والحسن بن علي وعبد الله بن عمر وأبي هريرة وغيرهم كثير..! إنه الزهد بالدنيا الذي تعلمه من رسول الله ﷺ.

### زهدي علي بن أبي طالب ﷺ

عرف أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ بزهد الذي سارت بذكره الركبان، وكان ذلك من تأثير القرآن الكريم فيه، ومن معاشته لرسول الله ﷺ، ومن اعتقاده الجازم أن هذه الدنيا هي دار اختبار للإنسان ليس إلا وأن الآخرة هي دار القرار، لذلك استهان بزخارف الحياة الدنيا كلها، بعد أن جاءت إليه بمباهجها ومغرياتها، فكان مثلا لكل حاكم صالح. وقد كان ﷺ يدعو إلى الزهد بأقواله ويطبق ذلك بأفعاله، فمن أقواله الداعية إلى

(١) التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن محمد ٢١٢/٣، دار صادر بيروت.

(٢) الزهد للإمام أحمد بن حنبل حديث ٦٦٩ ص ١١١

(٣) رواه البخاري في كتابه التاريخ الصغير ١٠١/١ بتحقيق محمود إبراهيم زايد الطبعة الأولى ١٤٠٦/ دار المعرفة بيروت.

الزهد:

( طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والكتاب شعارا والدعاء دثارا ورفضوا الدنيا رفضا<sup>(١)</sup>).

وقوله:

(ارْتَحَلْتُ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَارْتَحَلْتُ الآخِرَةَ مُقْبِلَةً وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بُنُونٌ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَعَدَا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ)<sup>(٢)</sup>.

وقوله:

(يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا أَبِي تَعَرَّضْتُ، أَمْ لِي تَشَوَّفْتُ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، غُرِّي غَيْرِي، قَدْ بِنْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ لِي فِيكَ!، فَعَمْرُكَ قَصِيرٌ، وَعَيْشُكَ حَقِيرٌ، وَخَطْرُكَ كَبِيرٌ، آه مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ)<sup>(٣)</sup>.

وأما تطبيقه العملي للزهد، فهذه أمثلة على ذلك:

١- عن علي بن ربيعة الوالبي عن علي بن أبي طالب قال: جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء. فقال الله أكبر! فقام متوكئا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

يا ابن النباح علي بأشيع الكوفة. قال: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمره بنضحه وصلى فيه ركعتين<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية أخرى لأبي نعيم من خبر مجمع التيمي:

(كان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه يتخذ مسجدا؛ رجاء أن يشهد له يوم القيامة)<sup>(٥)</sup>.

ونلاحظ في هذا الخبر، أن سيدنا عليا عليه السلام لما جاءه ابن النباح وأخبره بامتلاء بيت المال

(١) شعب الإيمان ٣٧٢/٧ تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨)، تحقيق: محمد السعيد بسبوني زغلول، الطبعة الأولى ١٤١٠، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب: الأمل وطوله) ص ١٥٨١.

(٣) مختارات من أدب العرب لأبي الحسن علي الحسيني الندوي ص ١٩-٢٠، الطبعة الثانية في دار ابن كثير، نقلا عن كتاب (صفة الصفوة) لأبن الجوزي ١/١٩٦، دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠) ٨١/١ الطبعة الرابعة ١٤٠٥، دار الكتاب العربي بيروت.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨١/١



بالذهب والفضة، فرح بذلك من أجل التوسعة على المسلمين وقال: الله أكبر، وقام ﷺ بتفريقه بين المسلمين، وخاطب الدنيا بقوله: (غري غيري)؛ لأن الدنيا حلوة خضرة، فيها من المغريات ما يأخذ بالألباب، فلا يستطيع أن يقف أمام مغرياتها إلا من ملأ الله قلبه بالإيمان الحق، ومن اجدر بذلك من أمير المؤمنين علي وأمثاله؟! لقد زهد بالدنيا، ولم يُبق في قلبه شيئاً من حبها.

وتبدو الروعة في صورة من أجمل صورها حين قام وصلى ركعتين في بيت المال الذي خلا من ذلك المال؛ لعلّ هاتين الركعتين تشهد بعدله يوم يقوم الناس لرب العالمين.

٢- عن هرون بن عنتره عن أبيه قال: (دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق (موضع بالكوفة) وهو يرعد تحت سمل قطيفة (أي قطيفة قديمة)؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع! فقال: والله ما أرزؤكم (أي ما أنقصكم) من مالكم شيئاً، وإنما لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي - أو قال من المدينة) (١).

لقد كان باستطاعة أمير المؤمنين علي ﷺ، أن يشتري له أحسن وأفضل الملابس ليقى نفسه من ذلك البرد القارس: فهو أمير المؤمنين، ويحق له ما يحق لغيره، ولكن هيهات! فقد تغلغل الزهد في أعماق نفسه، فأيقن أنّ ما عند الله خير وأبقى، فلم يلتفت إلى ما يعانیه؛ ليعلم الدنيا كيف يكون الزهد.

٣- عن عمر بن قيس: قيل لعلي ﷺ: لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن (٢).

هذا الأسلوب يفصح عن حقيقة الزهد أولاً، وعن أسلوب تربية الناس على الزهد ثانياً، لأنه ﷺ كان في مقام القدوة، وترقيع القميص يبعد الإنسان عن الكبرياء.

وعن عبد الرحمن بن شريك عن جده عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه أتى بفالودج (نوع من الحلوى) فوضع قدامه بين يديه فقال: (إنك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، لكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعنده) (٣).

وعن مجمع بن سمعان التيمي قال: خرج علي بن أبي طالب ﷺ بسيفه إلى السوق

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨٢/١، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/٨، وثقه وقابل مخطوطاته: الشيخ علي محمد

معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية ١٤٢٦-٢٠٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الزهد للإمام أحمد بن حنبل ١١٥/١

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٨١/١.

فقال: (من يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي أربعة دراهم اشتري بها إزارا ما بعته)<sup>(١)</sup>.  
فلا نعجب إذن حين نقرأ عن الحسن بن صالح قوله: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد  
العزير فقال: (أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب)<sup>(٢)</sup>.  
رضي الله عن الخلفاء الراشدين وعن الصحابة أجمعين، وجمعنا بهم في جنات  
النعيم!.

ولا يظنن أحد أن هذا الزهد كان خاصا بالخلفاء الراشدين وحدهم، بل هو سمة أكثر  
صحابة النبي ﷺ، وهذه نماذج من زهد عدد قليل منهم:

### زهد سعيد بن عامر

(عن مالك بن دينار قال: لما أتى عمر ﷺ الشام، وطاف بكورها)<sup>(٣)</sup> قال: فنزل بحضرة  
حمص، فأمر أن يكتبوا له فقراءهم، قال: فرفع إليه الكتاب، فاذا فيه سعيد بن عامر بن  
حذيم أميرها، فقال: من سعيد بن عامر؟ قالوا: أميرنا، قال: أميركم؟ قالوا: نعم؛ فعجب  
عمر ثم قال: كيف يكون أميركم فقيرا، أين عطاؤه؟ أين رزقه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين لا  
يمسك شيئا، قال: فبكى عمر ثم عمد إلى الف دينار فصرها، ثم بعث بها إليه وقال: أقرئوه  
مني السلام وقولوا بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين بها على حاجتك قال: فجاء بها  
إليه الرسول فنظر فاذا هي دنانير، قال: فجعل يسترجع قال: تقول له امرأته ما شأنك يا  
فلان؟ أمت أمير المؤمنين؟ قال: بل أعظم من ذلك، قالت: فما شأنك؟ قال: الدنيا أنتني،  
الفتنة دخلت علي، قالت: فاصنع فيها ما شئت، قال: عندك عون؟ قالت: نعم؛ قال: فأخذ  
دُريرة فصر الدنانير فيها صرارا، ثم جعلها في مخلاة، ثم اعترض جيشا من جيوش  
المسلمين فأمضاها كلها)<sup>(٤)</sup>.

لقد كان سعيد في فقره سعيدا بحق، بل كان يعايش منتهى السعادة، إذ كان مقتديا  
برسول الله ﷺ في زهده، وهو يعلم ما أعد الله من جزاء في عالم الخلود لمن يزهد في الدنيا،  
وينفق ماله في سبيل الله.

### زهد أبي عبيدة عامر بن الجراح

روى الإمام أحمد في كتابه الزهد قال:

(١) البداية والنهاية لأبن كثير ٤/٨.

(٢) البداية والنهاية ٦/٨.

(٣) بكورها: بمدنها

(٤) صفة الصفوة لأبن الجوزي ٦٦٤/١ تحقيق: محمود فاخوري والدكتور محمد رواس قلعه جي، الطبعة الثانية

١٣٩٩-١٩٧٩، دار المعرفة بيروت.

(قدم عمر رحمة الله عليه الشام، فتلقاه عظماء أهل الأرض وأمراء الأجناد، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: اتاك الان، قال: ف جاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلم عليه وسأله، ثم قال للناس: انصرفوا، فسار حتى أتى منزله فنزل عليه، فلم ير في بيته الا سيفه وترسه ورمحه، فقال: له عمر لو اتخذت متاعاً أو شيئاً؛ فقال أبو عبيدة: يا امير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقيل)<sup>(١)</sup>.

إنه الإيمان الحق الذي يجعل الإنسان يضحى بزهرة الحياة الدنيا من أجل الحصول على السعادة الأبدية يوم الدين وقد كان أمين هذه الأمة أبو عبيدة من خير من أنغرس الإيمان في قلبه؛ فادى الأمانة حقها، وزهد بمباهج الدنيا ومغرياتها، وقد بلغه المتاع الضئيل الذي كان عليه المنزلة التي يستريح بها ويسعد، وذلك من أثر توجيهات النبي ﷺ.

### زهد عبد الله بن عمر ؓ

لما قال النبي لعبد الله بن عمر بن الخطاب: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)<sup>(٢)</sup>، صار بحق كأنه غريب أو عابر سبيل، والحياة التي يحيها هذا الصحابي خير دليل على ذلك. ولندع التابعي الجليل ميمون بن مهران يصف لنا منزل ابن عمر فيقول: (دخلت منزل ابن عمر، فما كان فيه ما يساوي طيلسانى هذا)<sup>(٣)</sup>. والطيلسان: ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن، خالٍ عن التفصيل والخياطة. وعن نافع (أن ابن عمر كان يمكث الشهر لا يذوق فيه مزعة لحم)<sup>(٤)</sup>. وعن هلال بن خباب عن قزعة قال: رأيت على ابن عمر -رحمه الله- ثيابا خشبة، فقيل أو خشنة فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان فتقر عيني ان أراه عليك؛ فان عليك ثيابا خشبة أو خشنة، قال أرنيه حتى انظر اليه، قال فلمسه بيده وقال: احريه هو؟ قلت: لا انه من قطن، قال: إني أخاف إن أنا لبسته اخاف أن أكون مختالا فخورا، والله لا يحب كل مختال فخور)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد، حديث ١٠٣٠ص ١٦٦، الطبعة الأولى ١٤٢٦-٢٠٠٥، مؤسسة الريان، بيروت، والمصنف للحافظ عبد الرزاق الصنعاني ٣١١/١١ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق حديث ٦٤١٦، صحيح البخاري ص ١٥٨٠.

(٣) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، حديث ١٠٥٥ ص ١٧٢.

(٤) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، حديث ١٠٧٠ ص ١٧٤.

(٥) كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، حديث ١٠٧٣ ص ١٧٤-١٧٥.

## زهد عمير بن سعد

وهذا عمير بن سعد يوليه عمر بن الخطاب ولاية (حمص)، ويقوم بأداء وظيفته على خير ما يرام، ومكث عمير في حمص سنة ولم يأت خبره، فكتب إليه عمر أن يقبل عليه ويحمل ما جباه من الفياء ( وأقبل راجلا، فدخل المدينة وقد شحب واغبرّ وطال شعره، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين! فقال: ما شأنك؟ قال: ألسْتُ صحيح البدن، معي الدنيا. فظن عمر أنه جاء بمال، فقال: جنّت تمشي؟ قال: نعم، قال: أما كان أحد يتبرع لك بدابة، قال: ما فعلوا ولا سألتهم. قال: بنس المسلمون! قال: يا عمر إن الله قد نهاك عن الغيبة، فقال: ما صنعت؟ قال: الذي جبيته وضعته مواضعه، ولو نالك منه شيء لأتيتك به. قال: جددوا لعمير عهدا قال: لا عملتُ لك ولا لأحد؛ قلت: لنصراني أخزك الله...<sup>(١)</sup>.

وبعث عمر رسولا له بمائة دينار وكان منزل عمير على أميال من المدينة- فانطلق الرسول فنزل عنده ضيفا ثلاثة أيام، وليس لهم إلا قرص شعير يطعمونه إياه ويبيتون طاويين وفي اليوم الثالث قال عمير لرسول عمر: قد أجمعتنا! فأخرج رسول عمر الدنانير فدفعها إليه فلم يقبلها وصاح: لا حاجة لي بها ردها عليه، فطلبت منه زوجته أن يأخذها ويقسمها بين الفقراء من المسلمين، فأخذها وقسمها بين أبناء الشهداء . ولما مات عمير قال عمر: وددت لو أن لي رجالا مثل عمير أستعين بهم في أعمال المسلمين.

## وبعد:

فهذا جانب من جوانب الأثر الذي تركه رسول الله ﷺ في صحابته الكرام، وهو ينبئ عن الروح العالية التي كان عليها تلاميذ النبي المعلم. لقد وصلوا إلى منزلة في الزهد هيئات أن يصلها أحد! وما أحوج الناس وبخاصة في عصرنا هذا- إلى أن يستذكروا هذه النماذج؛ خشية أن تجرفهم المادية الطاغية أكثر وأكثر، فينساقوا خلفها، وينسوا حق الله وحق دينهم عليهم. أقول هذا؛ لأننا نرى من الناس من يرتكب المحرمات، ويسلك سبيل الغش والخديعة والاحتتيال والاحتكار والربا وأكل أموال الناس بالباطل من أجل جمع المال.!

إنها ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين، وعسى الله أن ينفع بها.

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا.

(١) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي ٢٨٢/٣، اعتنى به: محمد بن عبادي بن عبد الحلیم الطبعة الأولى،

١٤٢٤-٢٠٠٣، مكتبة الصفا القاهرة.